

(Hob.-Job. - « Sappan Wood » ; « Brazil Wood »

وشيچ =

- انظر ما سبق -

اليسارة = « التي تكون ببلاد الهند وتفسيرها المطر فانه يدوم عليهم في الصيف ثلاثة اشهر تباعا » (أبو زيد السيرافي في سلسلة التواريخ ص 126) - كانوا يقولون « فلان يسر بأرض الهند أي شتا هناك (السعودي : مروج الذهب 1 / 327) - أصل الكلمة بالهندية « varsha » .

الهيل أو الهال ، هي بالسنسكريتية « ايل » وبالفارسية « هيل » وكان معدنه رأس هيلي / ايلي على الساحل الغربي بجنوب الهند وذكره الجغرافيون العرب وابن بطوطة الرحلة 81/4 .

ورس (= اليم / الصرف) - شاعت كلمة « الورس » وانتقلت من العربية الى اللغات الاوربية في العصور الوسطى بالاطالية « verzi » حتى انه يقال ان البرازيل Brazil من الورس، سميت تلك الخطة من العالم الجديد كذلك لوجود هذا النوع من الخشب فيها .

الرموز

سنس = اللغة السنسكريتية

ف = اللغة الفارسية

♦ = ان اصل الكلمة باللغة الفارسية او السنسكريتية او .. ما هو كذا وكذا .. الخ .

المراجع

- 1 - الآثار للقزويني = آثار البلاد واخبار العباد ، صنيف زكريا بن محمد بن محمود القزويني . E. Wustenfled, Gottingen, 1848
- 2 - الاخبار الطوال للدينوري ، ليدن ، 1888 م
- 3 - الادريسي = نزهة المشتاق للشرىف الادريسي ، نسخة دار الكتب المصرية ، جغرافيا رقم 150 .
- 4 - ادى شير : الالفاظ الفارسية المعربة .
- 5 - بارتولد : تاريخ الحضارة الاسلامية ، ترجمة حمزة طاهر ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الثانية .
- 6 - ابن بطوطة = الرحلة له ، طبعة باريس .
- 7 - بزرك = كتاب عجائب الهند ، تأليف بزرك بن شهريار الناختداه الرام هرمزي ، Par P.A. Van Der Lith, Leide, 1883-1886.
- 8 - البيان والتبيين للجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون .
- 9 - البيروني = كتاب الهند ، طبعة زخاو
- 10 - الجواليقي = المغرب له ، طبعة الدار ، 1361 هـ .
- 11 - سلسلة التواريخ (سليمان التاجر وابو زيد السيرافي) ، باريس 1811 م
- 12 - سليمان ندوي : (عرب وهندكي تعليقات ، اله آباد ، 1930 م .
- 13 - شفاء الفليل للخفاجي .
- 14 - سواء السبيل في المغرب والدخيل ، تأليف توما آرنلد وقاضي ظفر الدين احمد ، مطبع رفاه عام 1903 م .
- 15 - ظفر الواله بمظفر وآله للحاج دبير ، طبعة السير دنيسن روس .
- 16 - ابو الغداء : تقويم البلدان ، باريس ، 1830 م .
- 17 - لف القمط = لف القمط على تصحيح بعض ما استعملته العامة من المغرب والدخيل والاغلاقط، لإبي الطيب الصديق بن حسن القنوجي ، بهوبال ، 1296 هـ .
- 18 - المروج = مروج الذهب للمسعودي ، طبعة باريس .
- 19 - نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، تأليف الشيخ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي طالب الانصاري الصوفي الدمشقي ، بطرسبورغ ، 1865 م .
- 20 - ابن الوردي (سراج الدين) : خريدة العجائب وفريدة الغرائب .
- 21 - ياقوت : معجم البلدان .

المراجع الانجليزية

- (1) Bibl. Geog. = Bibliotheca Geographorum Arabicorum, Ed. de Geoe, Leiden, 1870-94.
- (2) Chau Ju Kua : Chu-fan-chi, translated and annotated by F. Hirth and W.W. Rockhill, St. Petersburg, 1911.
- (3) Fahmy, Ali Muhammad : Muslim Seapower in the Eastern Mediterranean, 1950.
- (4) Hirth : China and the Roman Orient, 1885.
- (5) Hob.-Job. = Hobson-Jobson : A Glossary of Anglo-Indian Colloquial words and Phrases and of kindred terms by Col. Henry Yule & Arthur Coke Burnell, London, 1886.
- (6) Hourani, George Fadlo : Arab Seafaring in the Indian Ocean in Ancient and Early Mediaeval Times, Princeton University Press, 1951.
- (7) Legacy of Islam, ed. Sir Thomas Arnold, Oxford University Press.
- (8) Periplus = The Periplus of the Erythraean Sea (Shoff), 1912.
- (9) Rawlinson, H.G. : Intercourse Between India and the Western world, Cambridge, 1926.
- (10) Smyth, W.C. : Dictionary Hindustani and English, London, 1820.
- (11) Vaidya, L.R. : The Standard Sanskrit - English Dictionary, Bombay, 1889.
- (12) Watt, Sir George : The Commercial Products of India, London, 1908.
- (13) Williams = Sanskrit - English Dictionary by Monier, Williams, Oxford, 1872.

بدء العلاقات العلمية بين الهند والعرب

للبيئة والطفافة التسلل عبر الحدود والالتقاء بهلسك السند ، مما زاد في اهتمام العرب بجارتهم ، وفي الوقت الذي كانت الممالك الشرقية للدولة الأموية قد استكملت قوتها واستعدادها لشن هجوم شامل برا وبحرا معا بعد ان انتظمت امورها وسلسلت صعابها تحت امرة حاكمها الحازم ذي البأس الشديد الحجاج ابن يوسف الثقفي ، في ذلك الوقت سببت الصلة التجارية بصورة مألوفة في التاريخ القديم والحديث على السواء ، التدخل السياسي والعسكري من جانب العرب ، وذلك بأن بعض القراصنة استولوا بالقرب من ديبيل على مركب كان ينقل الى العراق عددا من الأرامل واليتامى لبعض التجار العرب الذين وافتهم آجالهم في جزيرة سيلان ثم اعتمر داهر ملك السند بعجزه عن تنفيذ طلب الحجاج بمعاينة المجرمين وتسليم الأسرى ، فلم يكن منه هو الآخر الا ان ندب ابن اخيه الشاب محمد بن القاسم الثقفي لغزو السند نهائيا (3) .

دخل محمد بن القاسم السند في سنة 89 هـ ووفق في انجاز مهمته توفيقا تاما ، فانه تمكن في بحر خمسة اعوام من القضاء على مملكة داهر وفتحها للمسلمين من منابع نهر جهيلم بكشمير في الشمال الى البحر في الجنوب ، الى حدود مملكة قنوج (كنوج) بالقرب من ملتان وحدود كجرات في الشرق ومنذ ذلك الحين ظل اقليم السند جزءا من الدولة الأموية ، تعاقب على حكمه عدد من الأمراء العرب ، سعى بعضهم لتوسيع نطاقه في الشرق وعلى ساحل كجرات فلم يلقوا في ذلك كبير نجاح ، ولكنهم على كل حال بقوا اقوياء قادرين على اخماد الثورات مالكين لازمة الأمور في الداخل .

وهكذا أصبحت للعرب علاقات سياسية وطيدة مع الهند بعد ان كانت لهم علاقات تجارية قوية معها فيما قبل الاسلام ، وكان من المحتوم على هذه القاعدة الجديدة للعرب داخل اراضي الهند ان تصبح مبدا

من المعروف أنه لم يكن هناك اسم واحد يطلق على الشبه قارة الهندو — الباكستانية بأكملها بل كانت الأقاليم المختلفة تعرف بأسمائها كل على حدة وربما شمل اسم العاصمة جميع المناطق الواقعة تحت سلطتها أو نفوذها . وكان نهر « السند » الذي يذكره العرب القدماء باسم « مهران » — معروفا باسمه الحالي الى أن امتد اليه نفوذ أهل فارس في العصر القديم فسموه « هندهو » جريا على عادتهم في ابدال السين في السنسكريتية بالهاء ، ولذلك امثلة كثيرة في اللغة الفارسية القديمة . ثم جاء العرب فآثروا اسم « السند » للأراضي الواقعة على ضفتي ذلك النهر ، وبدأوا يطلقون « الهند » على ما وراءها (1) .

كان العرب قد عرفوا الهند قبل الاسلام وأحبوها الى حد أنهم اتخذوا منها اسما لنسائهم ، ولكنهم انما عرفوا عطورها وإحجارها وسيوفها وثمارها ولما كانت تجارتهم عن طريق البحر كان من الطبيعي ان يقتصر اتصالهم على الشواطئ والسواحل ، ولاسيما الساحل الغربي والجنوبي ، لا أدل على ذلك من أسماء في العربية هي في الأصل أسماء للممكنة التي كانت تستورد منها مسمياتها، مثل المندل والهيل (2) ثم جاء الاسلام فصارت هذه المعرفة والصلة التجارية من أهم ما وجه المسلمين من عرب عمان والمناطق الساحلية المجاورة لها الى شن الغارات البحرية بفية تأسيس دعائم حكمهم على موائع من ساحل السند وكجرات ، تهانة (تانه) بالقرب من بومباي وبهروج (بروص) وديبل بالقرب من كراتشي ، وكان ذلك في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب الذي كان شديد الحذر من « من حمل الدود على العود » ثم تكررت محاولة من هذا القبيل في عهد عثمان أيضا ، ولكن لم يكن لهذه الغزوات اثر يذكر ، ومضى العرب في هذه الأثناء قدما من نصر الى نصر حتى تم لهم فتح بلاد فارس كلها وصارت حدود دولتهم الشرقية تتأخم حدود مملكة السند الغربية مباشرة بحيث تسنى

(1) الدكتور السيد سليمان الندوي : عرب وهنديكي تعلقات ص 12 .

(2) على الترتيب ، العود المستورد من « كورومندل » كان العرب يطلقون عليها « المعبر » أيضا وفوه « هال » أو « هيل » (بالعامية : حب هان) المستورد من (رأس) هيلي أو « ايلي » بجنوب الهند بالقرب من كورومندل ، كانت ميناء ومدينة عامرة أيام زيارة ابن بطوطة لها ، راجع الرحلة 81/4 .

(3) الفتوح للبلاذري 431 — 432 و 435

خط لسير العلوم والآداب الهندية الى عاصمتهم ، ولكن الحركة — لأسباب طبيعية عامة — انها نهست وازدهرت في العهد العباسي الأول . أما في العهد الأموي فلا يلفت نظرنا الا ظواهر معينة ، هي بمثابة المقدمة لما نحن بصددده في مقالنا هذا .

كان العرب قد عرفوا من قبل الزط (جات) والميد وهما قبيلتان من قبائل السند عرفتا بالغزو والتهور والشراسة فجندهما الفرس ، وربما كثر احتكاكهما بالعرب حتى اننا نجد عبد الله بن مسعود يقول عن بعض من رآهم في صحبة النبي صلى الله عليه وسلم « رجال كأنهم الزط أشعارهم وأجسامهم » (سنن الترمذي ، باب الأمثال) مما يدل على انه هم كانوا معروفين لدى العرب تماما في ذلك الوقت (4).

ثم بعد ان تم فتح فارس على ايدي العرب انخرطت هاتان القبيلتان ولاسيما الزط في جنود الاسلام : استخدمهم علي رضي الله عنه لحراسة اموال البصرة في وقعة الجمل ، وانزلهم معاوية في مدن الشام الساحلية لمواجهة الروم ، وعمرهم وليد ابن عبد الملك في انطاكية (5) . هذا ما يتعلق بالعصر الذي سبق فتح العرب للسند ، أما بعد ذلك فقد تيسر للعرب ان يعرفوا لا الزط المحاربة فحسب ، بل السنديين عامة ومن أهم ما ساعد على ذلك نقل عدد كبير من العبيد والأماء أسرى الحرب الى العاصمة (x) وبعض المدن الكبيرة الأخرى ، وهناك بدأ العرب يتبعون خصائص وعوائد هذا العنصر الجديد بعناية

كبيرة ، كما ان أولئك الدخلاء اقبلوا على الأخذ بأسباب الحضارة العربية بجد واهتمام ، ولم يلبث العبيد من أهل السند ان بدأوا يساهمون مساهمة فعالة في الحوادث الجارية حتى انه ذكر ان أحدا منهم (ابن زياد بن أبي كبشه) اشترك في قتل الخليفة الوليد بن يزيد في سنة 126 هـ (6) أما مدى سرعة تعريبهم واندماجهم في المجتمع والثقافة العربية فيمكن ان نقدرها بوجود علماء أجلاء أمثال أبي معشر نجيب بن عبد الرحمن السندي (7) وابن الاعرابي (8) ، ورجال الحكومة مثل السندي بن شاهك (9) وشعراء أمثال أبي عطاء السندي وأبي الأصلع (10) كلهم موال انحدروا من أصل سندي لم يتجاوز عهدهم جيلين و ثلاثة على فتح السند ، وقد استغنيت بذكرهم عن التعرض للذين نشأوا فيما بعد .

لا شك ان الارتقاء وغيرهم من عامة أهل السند لم يكونوا ليعرفوا العرب الا برطانتهم وجعلهم الجيم زاء وبعض الملح تتعلق بالمعجزات والخصيان منهم (11) وما الى ذلك من عجائب العوائد وغرائب الاخلاق كما اشرت اليه آنفا وربما كان وجودهم مثار التساؤل بين أهل الفكر عن مدى الحضارة والعلوم وحكمة الهند ومبعث تطلع الاذهان الى الوقوف عليها ، ولكن التبادل العلمي ونقل الآداب الهندية الى العربية انما كان يتوقف — ولا غرو في ذلك — على الجمع بين الخاصة وأهل العلم من الطرفين العرب والهنود ، وهل يتأتى ذلك الا اذا استقرت الاحوال الداخلية

(4) يرجح ان الامام ابا حنيفة كان من سلالة هؤلاء الزط ، فانه ذكر ان جده زوطي كان من كابل (حسب الرواية المشهورة . راجع ابن خلكان وتهذيب الاسماء للنوي) نقل الى الكوفة بين أسرى الحرب اما ادعاء حفيده اسماعيل بن حماد ، الانتساب الى أسرة مالكة من الفرس فذلك محاولة معروفة حاولها كثير من الموالى لاثبات اصلتهم في العز الذي نالوه في الاسلام .

(5) البلاذري الفتوح : 375 — 379 .

» انظر قول ابي النجم المجلي : علقت خودا من بنات الزط الخ (الاغاني)

(6) ابن الأثير 217/5 .

(7) شذرات الذهب 278/1 سمع عنه الواقدي بالمدينة .

(8) « كان أبوه زياد عبدا سنديا » ياقوت : معجم الادباء .

(9) السندي بن شاهك مولى جعفر المنصور ، كان اميرا على دمشق فأخرب سورها في فتنة ابي الهندام في سنة ست وسبعين ومائة في خلافة هرون وولي القضاء ببغداد وكانت وفاته هناك . ترجمته في مرآة الزمان نسخة دار الكتب المصرية الجزء السادس الورقة 42 ، وكان للسندي هذا ابن يسمى ابراهيم روى عنه الجاحظ كثيرا (البيان والتبيين 1 \ 141) .

(10) أبو عطاء معروف ترجمته في الاغاني وأبو الأصلع الهندي له ذكر في المزياني 513 (« ابو الضلع » كذا في الفهرست 164) والحيوان 171/7 .

(11) البيان والتبيين (تحقيق عبد السلام هارون) 70/1 ، 74 ، والحيوان 118/1

وتفرغ أولو الامر لتشجيع الحركات العلمية ورعاية الادب وذويه ؟

كانت اواخر ايام بني امية الزهون والاختلال والفتن اعتبقها الانقلاب العباسي فلاقى ابو مسلم الخراساني بعض العناء في اخضاع منصور بن جمهور الكلبي ذلك الطاغية الذي كان قد اغتصب ولاية السند منذ زمن غير بعيد ، ولكنه نجح اخيرا في ضم هذه الولاية للسفاح على يد موسى بن كعب التميمي في سنة 134 هـ . وقد اقترن ظهور العباسيين بنقل العاصمة من دمشق الى بغداد فازداد التقارب من السند جغرافيا ، مع ما هو معروف عن الخلفاء العباسيين واعيان السلطنة في عهدهم من الميل الشديد الى الفرس والعجم وحضاراتهم وآدابهم .

لم تكد الامور تنتظم في العهد الجديد حتى نرى وفدا من اهل السند يفد على السفاح ، وذلك قبل موته بثلاثة ايام (12) . لا نعلم اذا كان هذا الوفد يضم احدا من اهل العلم ، ولكن على كل حال لم يكن له اثر يذكر لمصادفة وصوله في وقت غير ملائم .

(12) تاريخ اليعقوبي 433/2 .

x قال البحتري (د الجواب 160/2) : الست بالسند هند ذا بصر ان لم تفق حاسبيه تنتصف

(13) البيروني : كتاب الهند ص 208 .

(14) عرب وهنديكي تعلقات ص 134 هذه الارقام مغروفة عند العرب بـ « الارقام الهندية » وعند الفرنج بـ « الارقام العربية » [Arabic figures] لانهم بدورهم اخذوها من العرب ، اعني عرب الاندلس وربما سماها عرب الاندلس « حساب القبار » لان الهنود كانوا يسمونها على التراب او الرمل بدل اللوحة او السبورة لتعليم الاولاد كما يشاهد ذلك في بعض ارياف الهند الى يومنا هذا . انظر قول الشاعر يصف التخت الذي يضرب عليه حساب الهند :

وقلم مداده تراب
في صف سطورها حساب
يكثر فيها المحو والاضراب
من غير ان يسود الكتاب
حتى يبين الحق والصواب
وليس اعجام ولا اعراب
فيه ولا شك ولا ارتياب

(الحصري : زهر الاداب 90/2)

(15) هاك الالفاظ الهندية التي بقيت كمصطلحات علم الهيئة بالعربية : « كردجه » (الوتر المستوي) اصلها بالسسكريتية « كرمجيا » ، « جيب » اصلها « جيوا » ، « اوج » اصلها « اوج » بالجييم الفارسية ، « ارين » من « اجين » اسم لبلدة في وسط الهند ، « ادماسه » اصلها « ادھماسا » .

وعلى اثر هذه البداية الحسنة لابد ان الامراء واهل العلم في بغداد قد عرفوا واعترفوا ببراعة اهل الهند في ميادين أخرى ، ولاسيما الطب ، فلذلك نراهم يشيرون على هارون الرشيد ابان مرضه باستقدام الطبيب الهندي الشهير « منكه » (مانك) وورد الطبيب الهندي فنج في علاج الخليفة وحظي عنده وبقي يمشي يشرف على نقل الكتب من اللغة السنسكريتية (16) .

وفي هذه المرحلة اي بعد ان كان الطريق قد مهد لحركة نقل العلوم من الهند الى بغداد يطالعنا التاريخ بظاهرة قوية ، يجدر بنا ان نقف عندها لعلنا نكتشف حقيقة طالما غمضت على كثير من المؤرخين القدماء والمحدثين . وتلك الظاهرة هي التي اشار اليها ابن النديم بقوله :

« الذي عني بأمر الهند في دولة العرب يحيى ابن خالد وجماعة البرامكة واهتمامها بأمر الهند واحضارها علماء طبها وحكائها » (كذا / . الفهرست 345 .

فما هو مبعث هذه النزعة الى الهند وعلومها في نفوس البرامكة ؟

لنبحث عن اصل البرامكة حتى نصل الى جواب لهذا السؤال .

البرامكة من أصل بوذي لا مجوسي

المعروف عن البرامكة ان اجدادهم كانوا يتولون قبل الاسلام معبدا للمجوس ببلخ ، وكان « برمك » لقباً لرئيس سدنة ذلك البيت الذي كان يسمى « نوبهار » . اما اصل كلمة « برمك » من ناحية اللغة فلم يتعرض له القدماء ، وجاء المتأخرون من المؤرخين وأصحاب المعاجم من الفرس فقالوا بان الكلمة مشتقة من المصدر « برمكيدن » أي المص بالفارسية وأيدوا قولهم هذا برواية مؤداها ان اول « برمك » أسلم (بعد ان خرب قتيبة بن مسلم « نوبهار » في سنة 86 هـ) لما وقف امام الخليفة اضطر الى الاعتراف بانه كان يحمل معه سما في خاتمه حتى يمسه (بالفارسية : « برمك ») اذا وجد الموت خيراً من حياة الخزي ،

(16) ابن أبي أصيبعة 33/2 .

(17) كتاب البلدان ص 323 « فسموا سادنها الاكبر برمكا » اي انه باب مكة ووالي مكة فصار كل من ولى منهم ذلك يسمى برمكا .

(18) معجم البلدان (نوبهار) « كانوا يسمون السادن الاكبر « برمكا » لتشبيههم البيت بمكة يسمون سادنه ابن مكة فكان كل من ولى منهم السدانة برمكا .

وهذه الرواية مختلفة بدليل ان المؤرخين مجمعون على ان « برمك » لقب قديم كان يلقب به رؤساء « نوبهار » قبل الاسلام بكثير . وقال بعض آخرون ان « برمك » اسم لكان والنسبة اليه « برمكي » . وأتى ابن الفقيه الهمداني وياقوت بتعليقين في منتهى الغرابة حينما قال الاول ان « برمكة » يعني حاكم مكة (17) وذلك لان معبد بلخ كان قد أنشئ ليكون نظيراً لمكة ، وقال الثاني ان « بر » هنا بمعنى الابن وان « برمكة » اما يعني ابن مكة (18) وهذه الأقوال كلها ظاهرة البطلان لا تستحق التعليق عليها بشيء .

وذهب الكاتب الهندي عبد الرزاق — مؤرخ « البرامكة » (باللغة الأردوية) الى ان اصل « برمك » هو « برمغ » — « بر » يعني « كبير » و « مغ » [magos باليونانية و « مجوس » بالعربية) يعني عبدة النار — وعلى هذا « برمك » يكون معناه « رئيس المجوس » وهذا القول يظهر انه قريب جدا الى الصواب ، مع انه لم يعرف بعد مثال آخر لابدال « الغين » « بالكاف » في التعريب ، الا انه قد بقي ان نتأكد اذا كان معبد بلخ معبدا للمجوس يعبدون فيه النار او معبدا للبوذيين يعبدون فيه الأصنام او « البد » على حد تعبير المؤرخين العرب .

من حسن الحظ ان بأيدينا وصفا مسهباً لهذا المعبد عند المسعودي والهمداني وياقوت يمكننا ، اذا أمعنا النظر فيه ، من الاهتداء الى جواب على هذا السؤال وهاك ما يقوله ياقوت عنه :

« قال عمر بن أزرق الكرمانى : كانت البرامكة اهل شرف على وجه الدهر ببلخ قبل ملوك الطوائف ، وكان دينهم عبادة الاوثان ... ونصبوا حوله (اي حول بيت النوبهار) الاصنام وزينوه بالدباج والحريسر وعلقوا عليه الجواهر النفيسة ... وكانت الفرس تعظمه وتحج اليه ، وتهدي له وتلبسه انواع الثياب وتنصب على أعلى قبته الاعلام ، وكانوا يسمون أعلى قبته « الاستن » وكانت مائة ذراع في مثلها وارتفاعها فوق مائة ذراع باروقة مستديرة حولها وكان حول البيت ثلثمائة وستون مقصورة ليسكنها خدامه وقوامه

وسدنته ، وكان على كل واحد من سكان تلك المقاصير خدمة يوم لا يعود الى الخدمة حولا كاملا ، ويقال ان الريح ربما حملت الحرير من العلم الذي فوق القبة فتلقته بترمز وبينهما اثنا عشر فرسخا ... وكانت ملوك الهند والصين وكابل شاه وغيرهم من الملوك تديسن بذلك الدين وتحج الى هذا البيت ، وكانت سنتهم اذا هم وافوه ان يسجدوا للصنم الأكبر ويقبلوا يد برمك .

هذا الوصف لياقوت في معجم البلدان (النوبهار) يطابق لفظا ما أورده الهمداني (البلدان ص 3 — 322) بحيث يصبح من المؤكد أنها استقياه من مصدر واحد وان لم يذكر هو الآخر اسم عمر بن أزرع الكرمانى كما فعله ياقوت هو الأول . كذلك يوافق هذا الوصف معنى ما جاء في مروج الذهب — 48/4 — للمسعودي (ايضا آثار البلاد للزويني 221) ومما يجدر بالملاحظة والتنبيه عليه في هذا الوصف :

اولا : لم يرد فيه ذكر للنار حتى يقال ان النوبهار كان بيتا من بيوت النار .

ثانيا : بالعكس نص فيه على ان معبد بلخ لم يتجاوز ان يكون بيتا لعبادة الأوثان والأصنام التي كان من بينها « الصنم الأكبر » الذي كانت سنتهم ، اذا هم وافوه ، ان يسجدوا له .

ثالثا : من المعروف ان « ملوك الهند والصين وكابل شاه » ولنصف اليهم نيزك طرخان ملك تركستان الذي جاء عنه في الهمداني وياقوت (وستقل هذه القطعة فيما بعد) أنه غضب من قبول البرامكة الاسلام وزحف اليهم بجيشه ونكل بهم كل هؤلاء الملوك لم يكونوا يدينون الا بالدين البوذي (Buddhism) .

رابعا : ان (« الاستن » « آسبت » « است ») ليست الا اشكالا محرفة لكلمة « استب » بالأصل « استوب » (stupa) وهي تطلق على معبد البوذيين الذي أودع فيه رماد جثة بوذا ، وقد كان الرماد قسم ودفن داخل قباب مبمثرة في عدد من الممالك التي كانت البوذية سائدة فيها ، ولا تزال المعابد من هذا النوع موجودة في الهند منها « استوب سانجي » بالقرب من مسقط رأسي مدينة بوفال في وسط الهند . يظهر

ان الكتاب كانوا اعرف بكلمة « الاستن » اي العامود بالفارسية فحرفوا « استب » الى ذلك الشكل .

ثم هناك أدلة أخرى ترشدنا الى الجزم بأن معبد بلخ انما كان معبدا للبوذيين وهي :

(1) ان بلخ جزء من اقليم خراسان وما وراء النهر ومن المحقق ان « على هذا المذهب السنية اي البوذية ، كان أكثر هل ما وراء النهر قبل الاسلام » (الفهرست 345) .

(ب) يزيد المسعودي في وصف النوبهار فيقول : « وقد ذكر بعض أهل الرواية والتفسير أنه قرأ على النوبهار ببلخ كتابا بالفارسية ترجمته : قال بوذاسف أبواب الملوك تحتاج الى ثلاث خصال عقل وصبر ومال واذا تحته بالعربية (19) كذب بوذاسف الواجب على الحر اذا كان معه واحدة من هذه الخصال ان لا يلزم باب السلطان » . اما « بوذاسف » فلاشك ان المراد منها « بوذا » لا غير ولعل أصلها « بودهاسطور » كما ذهب اليه المحقق زخاؤ (انظر مقدمة الترجمة الانجليزية لكتاب الهند) .

وقد وردت هذه الحكاية ايضا في مسالك الابصار (224/1) لابن فضل الله العمري وهناك « سوراشف » بدل « بوذاسف » مصحفا

(ج) قال العمري ايضا : « بناء منوشهر الهندي وكان يأتيه من الصائبة من يتقرب بالقمر » لا يستبعد ان يكون المراد من المتقربين بالقمر « الهندوس » لا غير بناء على ان البعض يرون ان أصل « هندو » هو « اندو » اي القمر (قارن المسعودي : « النوبهار ... بناء منوشهر ... على اسم القمر ») .

(د) قد ورد لهذا المعبد ذكر كمعبد للبوذيين في مذكرات السائح الصيني هوان كوانك الذي زار بلخ في القرن السابع الميلادي اي قبيل او بعيد فتح العرب لها (دائرة المعارف الاسلامية « Barmakids » .

فهل من شك في ان النوبهار لم يكن بيتا من بيوت النار يعبد فيه الجوس بل انما كان معبدا للبوذيين يعبدون فيه الأصنام او « البد » واذا وثقنا من هذا فليس من الصعب الاهتداء الى ان أصل النوبهار هو « نووهار » و « هار » اسم معروف لمعبد البوذيين والخاتمة حوله ولا

(19) في مسالك الابصار : « ثم لما ملك الاسلام مدينة بلخ ، كتب تحت هذه الكتابة بالعربية ... الخ » .

هما المستشرقان زخاو (مقدمة الترجمة الانجليزية لكتاب الهند ص 31) وبرتالد (Barthold) (دائرة المعارف الاسلامية) (Barmakids) كما ان الاول هو الذي بحث عن الاصل السنسكريتي لكلمة « برمك » ثم تتبع نتائجها الكاتب الهندي الدكتور السيد سليمان الندوي الذي يرجع اليه الفضل في بسط الدلائل كما قد اقتبسها هنا من كتابه « عرب وهندي تعلقات 102 - 124 » ، ثم يمضي الدكتور السيد سليمان الندوي خطوة اخرى فيلفت النظر الى ان القول بانحدار البرامكة من اصل ايراني ينتقض ايضا بما جاء به ابن الفقيه الهمداني (وياقوت حرفا بحرف) وهذا نصه :

« فلم يزل يليها برمك الى ان فتحت خراسان ايام عثمان بن عفان وقد صارت السدانة الى برمك ابي برمك ابي خالد فوجه برمك الى عثمان في الرهائن فورد المدينة ورغب في الاسلام فأسلم وسمي عبد الله ورجع الى ولده وصارت البرمكة في بعض ولده فكتب بعض الملوك الى برمك يعظم ما اتي من الاسلام ويدعوه الى الرجوع في دين آباءه فكتب اليه برمك اني انما دخلت فيه اختيارا وعلما بفضل عن غير رهبة (ولا رغبة) (20) ولا ارجع الى دين بادي العوار متهمك للاستار فغضب الملك وزحف الى برمك بجمع كثيف فكتب اليه برمك قد عرفت حبي للسلامة واني ان استنجدت عليك الملوك انجدوني فانصرف والا صرت الى لقائك ، فانصرف عنه ووادعه ثم لم يزل ذلك الملك واسمه نازك (نيزك) طرخان يغتر برمك ويطلبه حتى بيته وقتله وعشرة بنين له فلم يبق لهم برمك سوى برمك ابي خالد فحملته امه وهربت به وكان صغيرا الى بلاد قشмир ، فنشأ برمك وتعلم النجوم والطب وأنواع الحكمة ، وبقي على شركه واصابهم وباء فنتشعوا بمفارقة دينهم فكتبوا الى برمك فقدم عليهم فاجلسوه في موضع ابيه فتولى امر النوبهار فسمي برمكا وتزوج ابنة ملك الصغانيسان فولدت له الحسن وبه كان يكنى وخالدا وعمرا وام خالد ، وسليمان بن برمك من امراة غيرها من اهل بخارى وكان صاحب بخارى اهدى الى برمك جارية فولدت له كال بن برمك وام القاسم وبنات اخرى (كتاب البلدان 323 - 324) .

يزال اقليم الهند الشمالية الذي ولد فيه بوذا يسمى « بهار » (Bihar) الى وقتنا هذا . وليس بمستغرب ان خفي الامر على العرب فانهم كانوا اعرف بكلمة « بهار » الفارسية فلذلك قالوا : « وتفسير النوبهار البهار الجديد لان « نو » الجديد ، وكانت سنتهم اذا بنوا بناء حسنا او عقدوا بابا جديدا او طامتا شريفا كللوه بالريحان وتوجوا ذلك باول ربحان يطلع في ذلك الوقت ، فلما بنوا ذلك البيت جعلوا عليه اول ما يظهر من الريحان ، وكان البهار فسمى نوبهار لذلك » (ياقوت) ، هذا وقد اتفق للعرب ابا ن فتحهم للسند « ان عرفوا معابد البوذيين من قبيل وهار ، وهاك مما اورده البلاذري في وصف واحد منها :

وكان بالديل بد عظيم عليه دقل طويل وعلى الدقل راية حمراء اذا هبت الريح اطافت بالدينة ، وكانت تدور ، والبد فيها ذكروا منارة عظيمة يتخذ في بناء لهم فيه صنم لهم او اهنام ليشهر بها وقد يكون الصنم في داخل المنارة ايضا ، وكل شيء اعظموه من طريق العبادة فهو عندهم بد والصنم بد ايضا .

او لا تؤكد المقارنة بين وصف معبد البوذيين هذا وبين وصف النوبهار بان الواحد لم يختلف عن الآخر ؟

كذلك نرى العرب يخطون خط عشواء في تفسير « برمك » فانهم لم يكونوا ليتصوروا ان تكون كلمة « مك (مكا) » غير « مكة » فاضطروا الى القول ان البرامكة « وصفت لهم مكة وحال الكعبة بها ولما كانت قريش ومن والاها من العرب يأتون اليها ويعظمونها فاتخذوا بيت النوبهار مضاهاة لبيت الله الحرام » (ياقوت) اما « بر » فقد كان في متناولهم كلمة « بور » بمعنى الابن بالفارسية فلجأوا اليها . ثم جاء المؤرخون واللغويون من الفرس فلم يكن منهم الا ان اعتمدوا على علمهم باللغة الفارسية فتخروصوا بان تكون « برمك » مشتقة من « برمكين » ثم دعموا هذا التخروص برواية مختلفة كما مر . ولكن الحقيقة التي تنسجم « وهار » واباها هي ان « برمك » اصلها باللغة السنسكريتية « برمك » ومعناها الصدر او ذو الرئاسة العليا ، لم يلقب بهذا اللقب احد من سدنة بيوت النار او معابد المجوس ، بل انما اختص به رؤساء النوبهار لاسباب ذكرناها آنفا .

ولعل من الواجب في هذا المقام ان اثبت ان اول من اشار الى كون « النوبهار » معبدا للبوذيين (وهار)

(20) كذا . زيادة في ابن الفقيه لا توجد في ياقوت .

هذا وقد جاء في النويري (نهاية الأرب 12/29)
عن محمد بن العباس المسكي عن الأسباب التي
حملت البرامكة على اللجوء إلى الهند ما هو أقرب إلى
الصواب فإنه يقول : « لما قلت الأموال في أيديهم
(الأمويين) شرعوا في مصادرات الرعايا وأخذوا
الأموال من غير وجوهها وتعرضوا إلى أموال الأوقاف
والإيتام فتعرض ولاية خراسان لبرمك ولولده وطالبوها
بالأموال وكان تحت يد برمك أوقاف جليلة فهرب هو
ولده من أعمال خراسان إلى بلاد الهند فأتوا بها
إلى أن ظهرت الدولة العباسية ... ثم قدم خالد بن
برمك وأخوه الحسين وأهلها على المنصور ، أبى
جعفر لما أفضت الخلافة إليه فاصطنعهم وأدناهم
وتربهم الخ (نفس الرواية في صبح الأعشى 2/126)

أولا يجدر بنا أن نتساءل : لماذا هربت أم أبي
خالد إلى بلاد قشمير ؟ لأن أصل البرامكة كان من
الهند لا من إيران ولا يخفى أن قشمير كانت مركزا
من مراكز البوذية مثل خراسان وتركستان وهناك
نشأ برمك أبو خالد على دين آباءه . لاشك أن الفرس
ادعوا انتماء البرامكة إلى جاماسب وزير كستاسب
ليثبتوا أنها أسرة إيرانية عريقة في الوزارة ، كما أن
العرب حاولوا ضم عظمة البرامكة إلى أنفسهم بدعوى
أن أم خالد جليته من عبد الله أخي قتيبة لكنها دعاء
بقيت موضع الشك إلى أيامنا هذه . أما الماع الشعراء
إلى عبادة النار في معرض هجو البرامكة فمن السهل
جدا عدم الأخذ به لجهل العرب عامة بالفرق بين
المجوس والبوذيين ولإطلاقهم « المجوس » على المعجم
كلهم . وأخيرا لا ننسى أنه كان في مصلحة البرامكة
التضامن مع الفرس لأغراض سياسية ظاهرة .

إننا نتضح لنا كل الموضوع تلك الظاهرة القوية
التي تستوقف كل من يتتبع حركة نقل العلوم والآداب
الهندية إلى بغداد ، وهي عناية البرامكة القائمة بهذا
الموضوع ، فأننا نراهم يستخدمون جميع الوسائل
الممكنة لعرض ما للهند على العرب وهم في ذلك يبدون
كانهم يعرضون شيئا من عندهم على غيرهم . أنظر
اليهم يستقدمون ابن دهن فيمهدون إليه بإدارة
المستشفى المعروف باسمهم والإشراف على ترجمة

الكتب من السنسكريتية (الفهرست 2/45) ثم أنظر
إلى جعفر البرمكي يقدم صالح بهلة إلى الرشيد لمعالجة
ابن عمه إبراهيم بن صالح (21) ويمنح أبان الشاعر
جائزة قدرها مائة ألف درهم على نظمه قصة كليلة
ودمنة (22) أما قصب السبق في هذا الميدان فكان
ليحيى بن خالد - حفيد أبي خالد الذي نشأ في بلاد
قشمير وتعلم هناك « النجوم والطب وأنواع الحكمة »
فإنه هو الذي جلب من الهند علماء وأطباء أمثال بهلة
ومنكة وبازيكر قنبرقل وسندباد الذين أقاموا ببغداد ،
وربما أسلم بعض أولادهم مثل صالح بن بهلة والذين
عرفوا العرب الطب والبلاغة عند أهل الهند (23) ،
ولكن أهم الأعمال التي تمت على يدي يحيى بن خالد
إطلاقا هو إرساله رجلا في بعثة علمية إلى الهند
« ليأتيه بمقايير موجودة في بلادهم وأن يكتب له
أديانهم » (الفهرست 345) فإن التقرير الذي وضعه
هذا البعوث ربما كان هو المرجع الوحيد للعرب
والمسلمين في كل ما يتعلق بالموضوع طوال مدة قرنين
إلى ظهور ذلك النابغة المحقق أبي ربحان البيروني .
وقد وقع في يد ابن النديم نسخة من هذا التقرير
مكتوبة « يوم الجمعة لثلاث خلون من المحرم سنة تسع
وأربعين ومائتين » ومطابقة حرفا حرفا نسخة أخرى
بخط يعقوب بن إسحق الكندي ، أورد منه ابن النديم
مقتطفات تتضمن وصفا لبعض المعابد وقرق الهنود
(الفهرست 345 - 349) ونجد بمقارنة بعض أجزاء
هذه المقتطفات بما جاء في كتاب البدء والتاريخ
(9/4 إلى 19) أن مؤلفه مطهر بن طاهر المقدسي ،
ربما اقتبس من ذلك المصدر نفسه . ثم إن بيان مطهر
ابن طاهر المقدسي كانه جزء مما جاء (مترجما
بالفارسية) في كتاب زين الأخبار لكرديزي في هذا
الباب (24) وقد نص الكرديزي على أنه أخذ عن كتاب
التواريخ لأبي عبد الله محمد بن أحمد الجيهاني وزير
بني سامان (أوائل القرن الرابع الهجري) ويذهب
البروفسور مينورسكي إلى أن الجيهاني ربما اعتمد
بدوره على كتاب المسالك الكبير (أصل المختصر
الذي نشره دي غويه) لابن خردادبه . هذا وقد
عثر أخيرا على مقطوعتين في كتاب أخبار الزمان
المنسوبة إلى المسعودي (القاهرة 1938 م ص 27)

(21) ابن أبي أصيبعة 34/2 .

(22) الجهشيارى 259

(23) البيان والتبيين 1 / 92 — منكه كان صحيح الإسلام ، كذا في الحيوان 213/7 .

(24) V. Minorsky: Gardizi on India, Bulletin of Lond on, School of Oriental Studies, 1948, XII/3 & 4.

كانهما اصل الترجمة الواردة في كرديزي (البندان 41 و 42) .

فهذا هو الجو الذي ازدهرت فيه حركة نقل العلوم والآداب الهندية الى العرب وانما قصدنا الى ابراز بعض العوامل التي ساعدت في قيامها ، ولاشك انها بدأت قوية بحيث تكونت للعرب في اوائل القرن الثالث للهجرة فكرة واضحة جلية عن مدى براعة

الهنود في العلوم والفنون المختلفة ، كما بسطها الجاحظ في رسالة فخر السودان على البيضان ، وكما يجملها قوله : « انما الامم المذكورون من جميع الناس اربع : العرب وفارس والهند والروم » (البيان والتبيين 1 / 137) اما استقصاء نتائج هذه الحركة فهو موضوع مستقل لا سيما اذا تفكرنا انها استمرت فيما بعد الى ان بلغت ذروتها في شخصية البيروني الذي مر ذكره آنفا .

البرانس (جبال) :

جبال البرانس ويقول لها العرب ايضا جبال البرنات ويقولون اذا تجاوزت معابر البرانصة فاعلم انك قد دخلت في افريقية (الحل السندسية في الاخبار والاثار الاندلسية لشكيب ارسلان ج 1 ص 24 ط مصر 1355 - 1936) وذكر ارسلان انها تسمى ايضا الجبل الحاجز او الفاصل (ص 36) ويسمون جبال فشتالة بجبل الشارات .

أبحاث عامة

- تاريخهم من لغتهم — اطلنطة —
للاستاذ عبد الحق فاضل
- ملاحظات منهجية حول الدراسات الاجتماعية في الوطن العربي
للدكتور محمود عبد المولى
- ابن الحاجب المصري واثره في الدراسات اللغوية
للدكتور عبد العال سالم مكرم
- علم الحركة في الفلسفة العربية
للدكتور جلال شوقي
- الاتجاه النفسي في دراسات العقاد النقدية
للدكتور احمد محمد الحوفي
- النظام الإلكترونية تحمي جذور مفردات اللغة العربية
للدكتور ابراهيم أنيس
- سمات ومشابه عربية في ادب الكاتب الايطالي جوفاني فيرغا
للاستاذ عيسى الناعوري
- لغة الموسيقى كأداة للتعبير الفني
للاستاذ سعيد الديوه جي
- دليل جديد على عروية الارقام المستعملة في المغرب العربي
لأبوفارس
- الاستعراب في ليننغراد
للاستاذ فيكتور بيلاييف
- الاستشراق في رومانيا
للاستاذ عبد العزيز بنعبد الله
- صور ... لشاعر العروبة عزيز أباطة باشا
الوديعة — الى مجلة « اللسان العربي »
- صور ... لشاعر العروبة عزيز أباطة باشا
للاستاذ يوسف الغريب

تاريخهم من لغتهم

أطلنطة

عبدالحق فاضل

هذا جانب من وصف ذلك (الطوفان) المدمر
الذى اغرق البشرية ، كالذى جاء فى ملحمة
قلعيش (1)

والشطران الموضوعان بين قوسين (...) هما
من اضافاتي لشرح المعنى الذى كان معروفا لدى
القاريء البابلي الذى له نظمت الملحمة فلم يجد
مؤلفها ضرورة لايضاحه . والذى يهمنى هنا ، فى
هذا الحديث الغريب موضوعا والعجيب نتيجة ، هو
(ايراقال) الذى يرد اسمه فى المصادر الانكليزية
(Irragal) ، وهو عند البابليين . الاله مياه العالم
السفلى التى تحسبها دعائم او اعمدة ، وكأنهم كانوا
يتصورونها مثل دعائم السدود والخزانات تقام لحبس
مياه السيول والانهار . وكان اقدام هذا الاله
السفلى الشربير على قاع تلك الاعمدة هو تفسير زيادة
مياه الانهار عندهم وارتفاعها عن المستوى المعقول
احيانا ، ايام الفيضان كل عام . وكثيرا ما كان انفتاح
السدود يفرق القرى والزرع كما شهدنا مرارا فى
الثلاثينيات والاربعينيات ، قبل بناء السدود المهمة
الاخيرة التى الجمت واسرجت دجلة والفرات ايام

فحين لاحت للبصر
اولى طلائع السحر
انبعثت من اصل افق السماء
غمامة سوداء
فى جوفها يلعلع الرب « ادد »
يسعى امام فيه « خانيش » و « شولات »
ليندرا بين يديه فى السهول والجبال
واقطلع الدعائم الاله « ايراقال »
(فانهاى ماء العالم السفلى)
وجاء بعده « نرتيا »
(رب الوغى ، بعزمه القوي)
وفتق السدود ...
وزمجرت
عواصف الجنوب ، يوما اكمل
احتدمت
حتى طفى هبوبها العاتي فغطى الاجبلا
تفتك فتكا بالنفوسى
هوجاء كالحرب الضروسي !
ولم يعد اخ يرى اخاه ..

... الخ

(1) ملحمة شعرية بابلية ، سبق التنويه بها فى حاشية موضوع « عشتار » فى العدد الماضى .
ولكاتب السطور كتاب عنوانه « هو الذى رأى » يتضمن ترجمة شعرية للمحمة تتقدمها دراسة
عنها .

هياجهما . وما دامت دعائم السدود الفوقية هذه قوية محكمة لم يعد يهمننا اقتلاع دعائم المياه السفلية التي تسبب فوران الانهار .

ويبدو ان وليمي بمقارنة الالفاظ وتمحيص معانيها واستعراض متشابهاتها قد ابتلاني بحساسية خاصة لا شعورية في بعض الالفاظ ، فما سمعت عيني كلمة (ايراقال) ، اعني ما وقعت عليها عيني وتحسنتها اذني ، حتى قفز الى ذهني اسم هرقل (Herakles) بالاعريقية و (Hercules باللاتينية) . لكنني في العادة سرعان ما انبذ الاهتمام بالتشابه اذا لم اجد صلة معنوية تربط بين اللفظين . اما الشبه بين (ايراقال) و (هرقل) فلم استطع ان انبذه بهذه السهولة لان شيئا آخر قفز معه الى ذهني هو « اعمدة هرقل » Pillars of Hercules بالانكليزية و Hercules columnae باللاتينية) .

واذا لاحظنا ان اقدم اسماء هرقل على اختلاف صورها في اللغات الاوربية هو الاسم الاغريقي (هراكلس Herakles) الشبيه جدا باسم (ايراقال Irragal) البابلي لم يسعنا الا ان نتساءل جادين : هل اعمدة هرقل هي نفسها اعمدة ايراقال ، او هل هي مقتبسة منها ؟ هل هي اعمدة مائية ؟

ان اعمدة هرقل ليس لها تعريف واضح محدد، وانما يطلقها بعضهم على جزيرتين او اكثر في المحيط الاطلسي بالقرب من جبل طارق . ويطلقها بعضهم على جزيرتين او اكثر في البحر المتوسط بالقرب من جبل طارق ايضا . ولا يدري احد سبب هذه التسمية .

ثم قفزت الى خاطري مسألة اخرى . كنت قرأت في كتاب عربي ان هذا المضيق كان يقوم عليه جسر بأعمدة يعبر عليه الناس والدواب !

ومسألة رابعة . لنترك المسألة الرابعة الآن، لكي نعود اليها حين يجيء دورها في تفسير غرق (اطلنطة) الذي تجرنا اليه ذكرى الطوفان البابلي .

اطلنطة (Atlantis او Atlantica) - قارة او جزيرة اسطورية كانت في المحيط الاطلسي ، كالذي رواه افلاطون نقلا عن بعض قدامى الكتاب . وخلاصة المعروف عنها ان كهنة مضربين تحدثوا الى (صولون) عن تاريخ غابر لامته فقالوا له ان اعظم

مآثر اثينة قاطبة هو دحرها لجزيرة اطلنطة التي يجدون في مدونات لهم قديمة ، انها كانت قبل تسعة آلاف عام - من ذلك العهد - دولة عظيمة تقع قبالة اعمدة هرقل ، وبربو امتدادها على مجموع ليبية وآسيا الصغرى . وقد كانت ممرا الى جزر اخرى وقارة اخرى ، وكان البحر المتوسط مجرد ميناء لها . وتمتد امبراطورية اطلنطة من الاعمدة حتى مصر وتيرهنيا (Tyrrhenia) . ويقول الكهنة المصريون « ان هذه الدولة القوية كانت قد عبأت قواتها ضد مصر وهيلاس (Hellas) - اليونان - وجميع الاقطار المحاذية على البحر المتوسط . وعندئذ دحرتها مدينتك بشجاعة ، فداعت شهرتها في الارض قاطبة . فقد قامت، معرضة حتى وجودها للهلاك وقد تخلى عنها الهيلانيون الآخرون ، بصد الغير فوهبت الحرية عن طواعية لجميع الامم الواقعة ضمن الاعمدة . وبعد ذلك بقليل حدث زلزال عظيم ففارق كل قومك الصناديد في الارض واختفت جزيرة اطلنطة كذلك في البحر . وهذا هو تفسير الضاحض التي توجد في ذلك الجزء من المحيط الاطلسي » .

وتقول المعلمة البريطانية - ط 9 - عام 1875 ! - التي استقينا منها هذه المعلومات ان هذي هي المادة الاساسية لحكاية الجزيرة كما رواها القدامى، وهي حكاية ان لم تكن خيالية بجملتها فهي تعود الى اشد اصقاع التاريخ غموضا . ولعل القصة تجسد اسطورة شعبية ، ولعل الاسطورة قائمة على ظروف تاريخية معينة ، اما ماذا كانت هذه (الظروف) فمن المتعذر البت فيه الآن » .

لكننا نستبعد القول بانها اسطورة شعبية لان الاغريق الذين تخصصهم الحكاية احرياء عندئذ ان يكونوا قد سمعوا بها خلال ذلك العهد المتناول . هذا الى ان الكهنة الذين رووها قالوا انها من مدوناتهم ، لا من الاساطير المتداولة . ويصدق قول المعلمة فقط اذا قلنا ان تلك المدونات القديمة نفسها تعتمد على اسطورة شعبية .

اما طبعة عام 1960 - الحديثة - من المعلمة البريطانية فتشكك في صدق افلاطون نفسه حيث تقول « ويتمذر البت الى اي مدى تعتمد هذه الاسطورة على اختراع افلاطون والى اي حد تقوم على وقائع لم يبق تسجيل عنها » .

« المحيط الاطلسي » من جهة وانها « تمتد من اعمدة هرقل حتى مصر » من جهة اخرى . فكيف نوفق بين هاتين القالتين ؟ كذلك سبق ان امتدادها « يربو على مجموع ليبيا وآسية الصغرى » .. فما الداعي الى مقارنة اطلنطة بهاتين الرقعتين الكبيرتين من الارض فى شرقي البحر المتوسط وهي واقعة فى المحيط الاطلسي ؟

كذلك غرق الاثينيين - فى البحر المتوسط طبعاً - لا يتفق مع اسم اطلنطة الذى هو اقرب الى اسم المحيط الاطلنطي او الاطلسي منه الى اسم اي بحر آخر .

ثم ما معنى قول الرهبان المصريين ان اثينة بدحرها جيوش اطلنطة « وهبت الحرية لجميع الامم الواقعة ضمن الاعمدة » ؟ فهل كانت هناك اعمدة لهرقل تحيط بالقطر الاثيني وعدد آخر - يبدو انه عدد كبير - من الاقطار ؟ .

هنا يأتي دور الحقيقة الرابعة التي خطرت لي مع اعمدة هرقل وكان نصيبها الارجاء حتى الآن .

يقول الجغرافيون ان البحر الابيض المتوسط كان ارضاً يابسة تصب فيها الانهار من اوردية وافريقية اللتين كانتا من ثم متصلتين وان جبل طارق كان يمتد بينهما فى أقصى الغرب منهما كالجسر ، أو بالحري انه كان يقوم بوجه مياه المحيط الاطلسي كالسد . ثم حدثت تقلبات ارضانية من الزلازل فانفتق الجبل وانقسم ، فتدفقت مياه المحيط الاطلنطي من ذلك الخرق العظيم الذى نسميه الآن مضيق جبل طارق فأغرق ارضاً شاسعة هي التى تسمى الآن بالبحر الابيض المتوسط .. فانفتقت القارتان اللتان كانتا رتقاً .

واذن فان كان لاسطورة اطلنطة نصيب من الصحة فلا بد انها كانت فى منطقة هذا البحر الابيض المتوسط ، لا فى المحيط الاطلسي .

وتشابه العقائد بين شعوب العالم القديم فى كثير من الكليات وبعض الجزئيات ، مثل عبادة الشمس والنجوم والظواهر الطبيعية .. يدل على أن عقيدة الاعمدة التى تحجز المياه ويحكمها الاله ، قد كانت شائعة أيضاً منذ ذلك العهد السحيق يفسرون بها

والطبعة القديمة - الأنفة الذكر - اقرب الى الانصاف والمنطق حين تعزو الشك فى صدق الاسطورة الى تقادم العهد وطبيعة المأثورات الشعبية بدلا من اتهام افلاطون باختلاق الرواية من اساسها .

ومهما يكن فقد اثارت المسألة مجادلات طويلة فكذبها قوم لهم وزنهم وصدقها قوم لهم وزنهم . لكن كاتب المادة فى هذه الطبعة الحديثة من المعلمة اميل الى التكذيب حيث يقول كالمستنكر حتى فى القرنين السابع عشر والثامن عشر كان صدق الاسطورة يناقش فى جد ، وفى تصديق أحيانا حتى من قبل مونتايين (Montaigne) وبفون (Buffon) وفولتير (Voltaire) !

ومما اضعف الحكاية واوهى حجتها كثرة الاساطير الشبيهة بها - والمنشقة منها فيما نخال - منذ اودية هوميروس التى وردت فيها قصة شبيهة عن جزيرة الفاياقيين (Phaeacians) . وقد اهتم الباحثون بعد عصر النهضة بتحقيق اسطورة اطلنطة ، وقال بعضهم انها امريكة ، وآخرون اسكندناوية ، أو الكناري .. وقال بعضهم انها فلسطين !

وارتأى بعض الاعراقيين (1) أن اخلاف اولئك الاطلنطيين المفرقين هم الباسكيون أو قدامى الايطاليين أو غيرهم .

لقد انكر الكثيرون وجود اطلنطة لكن احدا من المنكرين لم يستطع أن يدعم انكاره ببرهان مقبول . وقد أيد الكثيرون صحة وجودها لكن احدا منهم لم يتمكن من اثبات تأييده بدليل معقول . فهل فى وسع اللغة ان تساعفنا ولو ببصيص من النور فى هذه المناهة المظلمة ؟

ارشدتنا اللغة الى الشبه بين اسم هرقل وايراقال ، والى دعائم هذا واعمة ذلك . وقد جرنا الطوفان الذى احده قلع اعمدة ايراقال واغرق البشر فى العراق الى ذكرى تلك الجزيرة أو القارة التى اغرقها الزلزال فى المحيط الاطلسي . فهل لهرقل علاقة ما باغراق اطلنطة ؟ هل قلع هو الآخر دعائمه فاهلك تلك الامبراطورية المتجبرة ؟

ان اسطورة اطلنطة هذه تفرقنا بدورها فى بحر من الغموض والمتناقضات . فقد سلف انها تقع فى

(1) تقصد بهم علماء الاجناس او الاعراق البشرية « ethnologists » ونقترح لعلم الاعراق البشرية « ethnology » مصطلح « الاعراقيات » على غرار الارضانيات لعلم « الجيولوجية » .